محاضرة بعنوان ((حرب الخليج الثانية))

وجدت القيادة العراقية نفسها في أزمة مالية عنيفة بعد الانتهاء من حرب الخليج الأولى. فالخزينة خاوية والاقتصاد محطم والغرب أصبح يحجم عن تقديم المزيد من القروض والدائنون يطالبون بدفع الديون المستحقة والعوائد النفطية هزيلة وإعادة التسلح تحتاج إلى أموال وإعادة البناء واستئناف عملية التنمية تحتاج إلى المزيد من الأموال ((والنمو الاقتصادي أصبح سالباً والناتج المحلي الإجمالي مستمر بالتدهور)) .

هناك ورطة الديون الخارجية فهي لن تذهب بين عشية وضحاها وإنما تحتاج لسدادها سنوات من التخطيط العقلاني والإخلاص بالعمل والكثير من التضحية ووقف الإنفاق على عسكرة البلاد والتوجه بتلك الأموال من أجل الاستثمار لتنمية الاقتصاد.

- **مصيدة الديون، مصيدة التهور:-**

لقد أدركت الإدارة الأمريكية مبكراً أن صدام قد وقع في أسر الخراب الاقتصادي العراقي وأنه، بطبيعته، لا بد أن يفعل أي شيء وبأي ثمن للإفلات من ذلك الأسر، وأن نذر الرسائل والخطب تشير إلى أنه قد يختار أيسر الطرق وأسهلها، وهو التوجه نحو الكويت. وإذا تيسر للولايات المتحدة أن تتركه مندفعاً بذلك الاتجاه فإنها ستضرب عصفورين بحجر واحد. فالقيادة العراقية خرجت من حرب الخليج الأولى بقوة عسكرية كبيرة نسبياً وبمعنوية عالية. واتجهت بعد ذلك بعزيمة قوية نحو إعادة التسلح وبناء صناعة عسكرية وطنية متطورة. والأخطر من ذلك كله اتجهت القيادة بحزم نحو إقامة مختبرات البحوث والتطوير وبناء المنشآت الصناعية لإنتاج أسلحة الدمار الشامل. كل ذلك من أجل بناء قوة عسكرية ضاربة بالشرق الأوسط. فهل يروق للولايات المتحدة الأمريكية أن ترى دولة، كالعراق، واقعة في أخطر منطقة استراتيجية، تملك عنصراً بشرياً كبيراً، مدججة بالسلاح الفتاك من أخمص القدمين لقمة الرأس، تقودها طغمة متهورة على رأسها دكتاتور بطموحات شخصية لا حدود لها، يهدد أمن الإمدادات النفطية ويزعزع استقرار الدول الخليجية ويتحكم بثرواتها ؟ لقد انتهت مهمة الجيش العراقي وانتفت الحاجة إلى قوة عسكرية عراقية قوية باحتواء ثورة إيران الإسلامية وتحجيمها وإطفاء لهيبها، وبعد ذلك يصبح من الأنسب تحطيم قوة العراق العسكرية والقضاء التام على نفوذ العراق بالمنطقة وإرجاعه إلى مكانه المطلوب له في لعبة الأمم. هذا هو العصفور الأول.

أما العصفور الثاني فإنّ انقضاض العراق على الكويت، وهو عمل مجنون لا سابقة له بين دول الجامعة العربية، سيقضي على التضامن العربي ويشتت الأمة العربية ويضعفها، بل سيحطم قواها، وبالتالي سيعبد الطريق أمام تسوية عربية - إسرائيلية تحت شروط قد لا تكون في صالح الشعب الفلسطيني ولا في صالح الأمة العربية.

وتماشياً مع هذا الطريق، ليس مستبعداً أن تكون الإدارة الأمريكية، التي أحجمت عن ردع صدام بالوقت المناسب وهي عالمة بما يعمل ، قد قامت بإرسال إشارات تضليل إلى الرئيس العراقي حول موقف أمريكا تجاه قضية الحدود مع الكويت، وحول رد الفعل الأمريكي المحتمل في حالة قيام العراق بغزو الكويت.

وقد تكون الادارة الامريكية قد شجعت الكويت على التمادي في تجاوز حصتها الإنتاجية المخصصة من الأوبك لإضعاف السوق النفطية، وما يستتبع ذلك من تخفيض للأسعار. ولربما كان المراد من ذلك التشجيع هدف خفي لدى الإدارة الأمريكية يختلف عن الهدف الذي كانت تتوخاه حكومة الكويت وهو استغلال مسألة الأسعار النفطية كورقة ضاغطة لحمل القيادة العراقية على الموافقة لترسيم الحدود العراقية - الكويتية.

ففي وثيقة كويتية سرية عثرت عليها الجهات العراقية في القصر الأميري بعد احتلال الكويت وردت فقرة جاء فيها: « اتفقنا والجانب الأمريكي على أهمية الاستفادة من الوضع الاقتصادي المتدهور في العراق للضغط على حكومته للعمل على ترسيم الحدود معها ... وقد زودتنا وكالة المخابرات المركزية بتصورها حول طرق الضغط المناسبة، بحيث يبدأ التعاون الواسع بيننا وبينهم على شرط أن يكون تنسيق هذه الفعاليات على مستوى عال ».

وقد كانت تلك الوثيقة مسجلة على الأوراق الرسمية لإدارة أمن الدولة في وزارة الداخلية الكويتية، وقام العراق فيما بعد بإيداع تلك الوثيقة لدى الأمم المتحدة حيث قبلت كوثيقة وتمت ترجمتها.

ولا يبدو مستغرباً من دولة صغيرة وضعيفة عسكرياً كالكويت، تتوجس من نوايا شريرة لجارتها الشمالية القوية عسكرياً والخربة مالياً، يقودها رجل لا يأبه بالقانون أسير طموحات العظمة والتوسع أن تنشد حماية دولة عظمى وتطلب معاونتها لنيل حقوقها المشروعة في أمنها وحدودها. ولكن المحذور الذي ربما

كان قد وقع هنا هو أن الكويت بينما كانت ترى في التشجيع الأمريكي لها وجهاً من أوجه التعاون في مساعدتها لنيل حقوقها، وأن أمريكا ستقف عند الضرورة حائلاً بينها وبين العراق لمنع أي أذى قد يطالها منه، فإنها لم تكن تتصور أن التشجيع الأمريكي لها كان يراد منه أساساً دفع صدام لارتكاب عمل جنوني ينتهي باحتلال الكويت ليبرر لأمريكا القضاء على القوة العسكرية العراقية وتدمير العراق خلال العملية.

ولعل تلك الرؤيا من الجانب الكويتي هي التي حملت الكويت على اتخاذ موقف أكثر عناداً وتصلباً. فقد عثرت الجهات العراقية، بعد احتلال الكويت على رسالة في مكتب الأمير بقصر دسمان كان قد وجهها الملك فهد إلى الشيخ جابر أمير الكويت، يشير فيها إلى الاتصالات السابقة التي جرت بين الأمير وبين الرئيس العراقي، والتفاهم الذي تم بينهما بأن يجتمع الشيخ سعد العبد الله، ولي العهد، مع السيد عزت إبراهيم، نائب رئيس مجلس قيادة الثورة العراقي، في جدة لتحقيق ما يتطلع لأشقاء العرب إليه من تذليل كل الصعاب وتجاوز كل العقبات، وتأكيد الصحبة والوئام بين البلدين الشقيقين.

وفي ٣١ تموز ١٩٩٠ تم في جدة الاجتماع الموعود بين الشيخ سعد العبد الله والسيد عزت إبراهيم، ولم يسفر ذلك الاجتماع عن حلول تذكر. وإذا كان الموقف الكويتي متصلباً فقد كان الموقف العراقي أكثر تصلباً وتعنتاً. ذلك أن الرئيس العراقي وجه مبعوثه قبل سفره إلى جدة بأن يتخذ موقفاً متشدداً وأوصاه بشيء من العنجهية، بأنه « إذا أبدى الكويتيون عنادهم المعروف فقل لهم أن لدينا صوراً فوتوغرافية لسور الطين القديم حول مدينة الكويت، وهذا هو خط الحدود الذي نحن على استعداد للاعتراف به .

- **تضليل أمريكي أم غفلة عراقية ؟**

قفل الوفدان العراقي والكويتي كل راجع إلى بلده، فقد فشل الاجتماع بينهما ولم يتوصلا إلى أي تفاهم معقول، ناهيك عن التوصل إلى حلول جذرية. وفي ذلك الوقت كان الجيش العراقي متخذا أهبة الاستعداد قرب الحدود الكويتية، وفي فجر يوم ٢/٨/١٩٩٠غلب منطق القوة على منطق العقل واجتاح الجيش العراقي الحدود الكويتية، واستفاقت الأمة العربية صبيحة ذلك اليوم لتجد نفسها في وسط كارثة كبرى تمزقها، وقد أحس كاتب هذه السطور عند سماعه بالنبأ أن إسرائيل قد انتصرت،

وقد ادعى أحد الباحثين في ورقة منشورة أن « الأدلة التي بدأت تظهر تشير إلى أن حرب الخليج الفارسي هي نتيجة عملية تحضير طويلة ... فلمدة عقد من السنين، خلال الحرب العراقية - الإيرانية تمتع عراق صدام حسين بالدعم الأمريكي والغربي العسكري والسياسي والاقتصادي... لقد لعب جورج بوش دوراً رئيسياً تحت إدارة ريغان في دعم العراق. وبعد انتهاء حرب العراق مع إيران وتسنم جورج بوش الرئاسة الأمريكية، أصبحت سياسة الولايات المتحدة تجاه العراق مشوشة على نحو متزايد في أحسن الأحوال، وأصبحت نتاج استراتيجية ميكافيلية صرفة لخداع العراق ونصب شرك لـ صدام حسين) ».

لا يمكن لأحد أن يجزم بالضبط على أن سياسة الولايات المتحدة الأمريكية تجاه العراق خلال السنوات التي تلت حرب الخليج الأولى قد اتجهت نحو خداع العراق والإيقاع بالرئيس العراقي صدام حسين. ويمكن لكل شخص أو جهة أن تجتهد بهذا الرأي أو ذاك، وتأتي بما يتيسر لها من أدلة، ويبقى الخبر اليقين عند جورج بوش ورجال إدارته، والإدارة الأمريكية التي أعقبته، حتى يكشف التاريخ ما جرى في تلك السنوات على أن النظر إلى المستفيد النهائي من هذه العملية وهم إسرائيل وأمريكا وحلفائها يرجح الرأي القائل بتوفر عملية خداع. غير أن المدافعين عن صدام وسياساته قد نشطوا بعد حرب الخليج الثانية، ليبرروا استمراره بحكم العراق بقولهم أن ما حدث كان نتيجة لمؤامرة. وهكذا تكرر سيناريو "المؤامرة" المألوف لدى العرب لتعليق أخطاء صدام الفاضحة، هذه المرة، على الشماعة الأمريكية. ولا يسأل هؤلاء المدافعون أنفسهم إذا كان ما حدث هو نتيجة مؤامرة فهل كان واجباً أن يقع صدام في شرك تلك المؤامرة؟ أو ليس معنى ذلك أن صدام سياسي مغفل؟ وهل أصبحت الغفلة السياسية شرطاً يجب أن يستوفيه الحاكم حتى يستمر بحكم العراق؟

إن غزو العراق للكويت، بغض النظر عن كونه جاء نتيجة استدراج أمريكي أم لا، قد دمر العراق وتسبب في خسائر عظيمة للكويت وللمملكة العربية السعودية، وضرب التضامن العربي بالصميم، وأضعف الأمة العربية، بل مزقها، وحتى إذا جاء ذلك الغزو نتيجة استدراج أمريكي، ولو جزئي،

فإن الولايات المتحدة كانت تتصرف كالعادة لمصلحتها وذلك من حقها ولو أنه ليس مقبولاً، من الناحية الإنسانية، أن تتبع في ذلك طرقاً ميكافيلية.

ومن النظر إلى شخصية صدام وحبه الذي لا حدود له للهيمنة والتسلط، ومن ثم النظر إلى حالة الأسر المالي التي وقع بها نتيجة خراب العراق الاقتصادي، ليس مستبعداً جداً أن تكون الولايات المتحدة قد رشحته للوقوع في شرك حرب الخليج الثانية متوخية بذلك تدمير قوة العراق العسكرية المهددة لمصالحها ومصالح حلفاءها بالمنطقة. وإذا كانت محصلة تلك السياسة تصب مباشرة في مصلحة إسرائيل، فلم لا وساسة الولايات المتحدة ورؤساؤها يعتمدون بدرجة كبيرة على الأصوات والأموال اليهودية في معاركهم الانتخابية، ويهابون الإعلام الصهيوني وسطوة جماعات الضغط اليهودية المتنفذة والمنتشرة في طول أمريكا وعرضها. ولو كان الأمر معكوساً وكانت الغلبة للإعلام العربي والسطوة المالية والسياسية للجماعات العربية بدلاً من اليهودية، لشهدنا السياسة الأمريكية وقد انقلبت هي الأخرى ولتغير تاريخ العرب الحديث عما هو عليه الآن.

على أن العرب، وهم يتعاملون مع الولايات المتحدة الأمريكية بواقعها الحالي، عليهم أن لا يتخذوها عدوة تقليدية ويعتبروا عداوتها ضرباً من ضروب الوطنية. إن هذا بالضبط ما ترغب به إسرائيل، ولن يفيد العرب أي شيء بل ينزل بهم أفدح الأضرار. وعلى العرب أيضاً أن يتيقنوا بأن أمريكا سوف لن تتقمص يوماً ثوباً عربياً فتشعر شعورهم القومي وتدافع عن قضاياهم الوطنية وتعمل على توحيدهم فهي كما قلنا، تعمل للمصلحة الأمريكية التي قد تتضارب مع المصلحة العربية في أي زمان ومكان. ويقع على عاتق العرب أنفسهم أن يرعوا مصالحهم الوطنية ويحموا قضاياهم القومية ويعملوا لمستقبلهم وعيونهم تتجه من فرقتهم الحاضرة إلى هدف الاتحاد في المستقبل. وعليهم، في كل ذلك، التعامل مع أمريكا بيقظة وحذر واستقلال وذكاء حتى لا تتكرر لهم بالمستقبل محنة أخرى يوقعهم بها صدام آخر.

- **أم المعارك**

لقد تصورنا ، أن حرب العراق مع إيران الطويلة والمريرة قد علمت القيادة العراقية دروساً بليغة، وأن تلك القيادة، بعد خلاصها من حرب الثمان سنوات ستجنح إلى سلم عزيز طال انتظاره تستغل خلاله طاقات العراق وموارده الكبيرة لإعادة البناء. ولكن يبدو أن تصور أغلب الناس، كان مغرقاً

بالتفاؤل. فالقيادة العراقية، وعلى رأسها صدام حسين، لم تتعلم الدرس البليغ، وسرعان ما أرسلت جيش العراق ليغزو هذه المرة جارة شقيقة.

إن استباحة حقوق الكويت جريمة كبرى لا يمكن القبول بها والسكوت عنها - ناهيك عن تبريرها من قبل البعض - مهما كانت الأسباب والأعذار. غير أن استباحة حقوق الشعوب ليس غريباً على صدام، فقد استباح حقوق الشعب الإيراني من قبل، وكان يستبيح حقوق الشعب العراقي طيلة استمرار تسلطه على هذا الشعب العريق. إن عملية غزو الكويت واحتلالها ستبقى وصمة عار في جبين صدام وحزبه إلى الأبد. إن الشعب العراقي آنذاك المستلب الفاقد الرأي والحرية، المكبل بالأغلال، لم يرضى ولن يرضى عن تلك الفعلة الشنيعة التي فعلها صدام وأعوانه، وإن الجيش العراقي، بدوره، أصبح لا حول له ولا قوة بعد أن ترأسه جنرال مزيف يمسك بيد من حديد على ماكنة أمنية قاهرة تتلقف الضباط الأحرار الشجعان ليقتلوا أو يُسجلوا كلما هموا بكسر القيود للانقضاض على الجنرال المزيف. ولقد سيق الجيش عنوة وكرهاً لاحتلال دولة شقيقة، وأرغم الجنود العراقيون على المشاركة بمعركة لم يؤمنوا بها أبداً. ولذلك رأينا عشرات الألوف منهم الذين سنحت لهم الفرصة - وهم البواسل الشجعان - قد سلموا أنفسهم أو فروا ، لأن المعركة ليست معركتهم

أنها لم تكن أبداً معركة الشعب العراقي الغيور.

وعندما انكسر ما تبقى من جيش صدام وحلت الهزيمة وأصابت النظام صعقة قوية اختل معها، ولو لبرهة، كابوس الإرهاب الدموي، انتفض شعب العراق الأبي ونهض من جنوبه إلى شماله يكسر الأغلال ويحطم الأصنام ويلاحق مجرمي النظام. وكادت الانتفاضة أن تنجح، وكاد الشعب أن يتحرر لولا أن قامت جيوش الاحتلال بالسماح المتعمد لما تبقى من قوات صدام المهزومة أن تفلت من الأسر وتلتحق بقواته الخاصة التي أبقاها في الخلف دفاعا عن حكمه ليستعمل الطاغية مرتزقته من فلول قواته المهزومة لذبح الشعب الأعزل، عشرات الآلاف من الرجال والنساء والأطفال، ودك المدن الثائرة، مستعملا طائراته السمتية ومدافعه الثقيلة على مرئى ومسمع من القوات الأجنبية المحتلة، وقد بدا الأمر وكأن الشعب العراقي هو المقصود وليس صدام، وكأن المعركة لم تنشب إلا

لتدمير مدن الشعب العراقي وقتل أبنائه، وكأن القوات الأجنبية المتحالفة لم تدخل أرض العراق إلا لإخماد انتفاضة الشعب وإرجاع صدام سالماً مسلحاً ليتربع على مؤسسة حكمه الدموي وكأن شيئاً لم يكن وعندما انطفأت شعلة الانتفاضة وأعيدت الأغلال إلى رقاب الشعب العراقي وقف صدام ليعلن بكل وقاحة، أمام الشعب المذهول والعالم المذهول أنه انتصر، لقد حقق النصر المبين

في أم المعارك ولم يعلم الشعب المذهول لقد رفض الشعب العراقي بأسره غزو الكويت واحتلالها، ولكن الأمة العربية بخصوص هذه القضية، انقسمت على نفسها وتمزقت. ووقع الشعب الفلسطيني ضحية خداع القيادة العراقية التي راحت تتمسك لآخر يوم بشعارات انتهازية تحوم حول الدفاع عن الحقوق الفلسطينية المغتصبة، والكل يعلم أن ذلك الغزو لم يحدث أبداً لتحرير الأرض الفلسطينية. فقد تلونت القيادة العراقية بتقديم حجج الغزو، وكانت لكل يوم ذريعة . ففي اليوم الأول كانت الذريعة هي التصدي لمؤامرة أمريكية ترتب ضده أي العراق على الأرض الكويتية.

وفي اليوم التالي كانت الذريعة هي مساعدة عناصر ثورية قادت انقلاباً على أسرة "الصباح" وطلبت معونة العراق.

وفي اليوم الثالث كانت الذريعة هي الحق التاريخي وعودة الجزء (الكويت) إلى الكل (العراق).

وأخيراً جاءت ذريعة الربط بين كل القضايا المعلقة في المنطقة، وربط الانسحاب من الكويت مع كل مشاكل الأراضي المحتلة من فلسطين، ولبنان، وسوريا ... الخ.

وكانت الحقيقة الفلسطينية تملي على قيادة الشعب الفلسطيني استنكار الجريمة الصدامية ورفض الاحتلال، لأن القبول باحتلال بلد عربي هو نقيض دعوتها لتحرير فلسطين، واسترقاق الشعب الكويتي من قبل صدام هو تكريس لاسترقاق الشعب الفلسطيني من قبل إسرائيل. ولكن القيادة الفلسطينية بخست قضية شعبها وقررت القرار الخاسر واختارت الطرف الخاسر. وكانت النتيجة أن فقد الشعب الفلسطيني عوناً مادياً ومعنوياً كبيراً كان له في منطقة الخليج وضعفت منظمة التحرير الفلسطينية إقليمياً وعالمياً وربحت إسرائيل مرة أخرى على الساحة العالمية.

ولا يثير استغرابنا ما شهدته بعض المدن والعواصم العربية من مظاهرات ضخمة تأييداً لصدام، وقد بلغ ذلك التأييد ذروته في المغرب العربي.

وعندما وقعت أزمة الخليج لم تكن لدى المغرب - ولا لدى المشرق - فرصة كافية لاختبار المقولات والتصرفات. واختلط الغزو العراقي للكويت بالدخول الأمريكي العسكري على نطاق واسع دون فرصة للأمة تتذاكر أمورها.

وهكذا فإن أزمة الخليج طرحت نفسها في المغرب العربي كنوع من التحدي - حتى ولو كان يائساً - للإرادة الغربية الغالبة والمتحكمة، وكنوع من التحدي لروح صليبية - أوربية

أمريكية - لا تخفي تعمدها إذلال العرب المسلمين ونهب مواردهم وسفك دمائهم. واتخذ

المغرب العربي موقفه، ولم يتراجع عنه». قد يكون هذا تفسيراً جيداً لموقف عرب المغرب، ولكنه تفسير جزئي ربما أصاب بعض الحقيقة وليس كلها. فإذا كان التراجع قد أصاب المشرق وأضاع الكثير من توهجه فما بال اليمنيين والسودانيين والأردنيين وهم يتظاهرون انتصاراً لصدام العراق؟ نحن نعتقد أن العرب لازالوا أنذاك ينتصرون للقائد العربي، أي كان إذا حاول ذلك القائد، برأيهم، استرداد حقوق لهم يعتقدونها مغتصبة، أو مقارعة قوى أجنبية دفاعاً، برأيهم، عن السيادة العربية، أو حاول أن يرفع من مركز العرب تجاه الأمم الأخرى. ولا يهم بعد ذلك أن يكون القائد سفاحاً أو جزاراً أو دكتاتوراً أو طاغية مستبداً. ولا يهمهم أن يكون ذلك القائد قد اختطف السلطة بوسيلة غير مشروعة، وهو يستبيح حقوق شعبه ويظلمه كل يوم، ويقتل معارضيه ويرميهم في السجون ويعذبهم حتى الموت، ويسلب الحريات وينتهك المعتقدات، ويرحل المواطنين من الشمال إلى الجنوب ومن الجنوب إلى الشمال، ويرمي بمئات الألوف من أبناء الشعب خارج حدود البلاد لعدم موالاتهم لنظام حكمه، ويغزو جيرانه المسلمين إلى الشرق وجيرانه العرب إلى الجنوب... الخ كل ذلك لا يهم إذا كان القائد، برأيهم، يقارع القوى الأجنبية لإعلاء شأن العرب ورفع كلمتهم.

لذلك وكان أقصى ما يمكن أن يطمح إليه آنذاك، كما تعلم من تراثه هو أن يحكمهم «مستبد

عادل»؟ ولا يدري الآن كيف يكون الحاكم عادلاً إذا كان مستبداً. حتى الكويتيون أنفسهم ضحية صدام فيما بعد، لقد طبلوا لصدام وزمروا له خلال لثمانينات ما شاء لهم التطبيل والتزمير، وأغرقوه بالمال ما وسعت أيديهم وجيوبهم، وعظمته صحفهم كل يوم تقريباً، ومدحه شعراءهم في مهرجانات

المربد وبابل وأشبعوه حباً وهياماً. ولربما كانت ستستمر حال الكويتيين على ذلك المنوال فيما لو تركهم صدام لشأنهم

***سيف العرب:-**

أليس هذا الخلط بين صدام والشعب العراقي هو بمثابة اعتبار المجرم وضحيته شيء واحد، وبالتالي تحميل الضحية جريرة المجرم ؟ ألم يكتف الشعب الكويتي الشقيق بالانحياز لمدة عقد من السنين لصدام ودعمه مادياً ومعنوياً في وقت كان شقيقه الشعب العراقي يتعرض لشتى أنواع التنكيل والإذلال ويئن تحت سياط الإرهاب ويتحمل من الصبر ويعض على الجراح ويكظم الغيظ وينظر بعين الأسى والعتاب لشقيقه الشعب الكويتي وهو يرقص منتشياً مع صدام؟ أليست هي جريمة ترتكب بحق هذين الشعبين الشقيقين، وهما ضحيتا صدام، أن يقوم «البعض» بتحميل الشعب العراقي وزر صدام وآثامه حتى ينجو المجرم وتتناحر الضحيتان؟ ألم يكن حرياً، بعد جريمة غزو الكويت بالشعب الكويتي أن يمد يده لشقيقه الشعب العراقي، الذي قتل وشرد منه صدام ما يعادل نفوس الكويت عدة مرات، ويعينه للخلاص من قبضة العبودية والجور والطغيان حتى ينهض حراً ويقف لشقيقه الشعب الكويتي بعد ذلك سنداً وظهيراً؟

لقد استمر العرب بالانحدار وتوالت خسائرهم حتى خسروا أخيراً حرب المدافع والدبابات والطائرات مع إسرائيل، فهل لهم أن يربحوا الحرب الأخرى، حرب المدنية والحضارة؟ إنهم قادرون على أن يربحوا حرب المدنية والحضارة - وهي أعظم وأهم وهي بالتأكيد أشد وطأة وقوة وبأساً على إسرائيل من حرب القنابل والطائرات والصواريخ - إذا هم بدأوا ببناء أوطانهم أولاً. وأن عملية البناء هذه - وباختصار - تبدأ بتحرير الشعب من عبودية الحاكم وإرجاع حقوق الإنسان المغتصبة إلى الشعب، بضمنها حقه في اختيار حكومته ومتى انعتق الإنسان وتحررت طاقاته - الحبيسة والمهدورة سابقاً - ستنطلق عند ذلك القدرات الخلاقة بلا حدود. وحينئذ سيسهل على العرب استرجاع حقوقهم المغتصبة من إسرائيل وغيرها، كما سيتمكنوا من دخول ميدان المنافسة السلمية لبناء حضارة جديدة ،توازي، ولربما قد تفوق حضارتهم العظيمة السابقة التي استمرت زهاء ألف عام.

***خصم من نوع جديد:-**

لا يمكن لأحد أن ينكر أن العراق بغزوه الكويت قد غزى دولة أخرى مستقلة وعضو في الأمم المتحدة، وبذلك خرق القانون الدولي خرقاً فاضحاً. وكان لا مناص للمجتمع الدولي، ممثلاً بالأمم المتحدة، إلا اتخاذ الإجراءات اللازمة، بموجب القانون الدولي، لإكراه العراق بالقوة إن تطلب الأمر على الانسحاب من الكويت ورفع الحيف الذي أصاب الكويت من جراء ذلك الاحتلال.

وأصبح العراق، بانتهاكه لميثاق الأمم المتحدة وخرقه للقانون الدولي، خصماً مباشراً للأمم المتحدة. ذلك من الناحية النظرية، أما من الناحية العملية، فقد أصبح العراق خصماً مباشراً للولايات المتحدة الأمريكية التي لها ، كما ذكرنا سابقاً، مصالح حيوية جداً في المنطقة، وربما كان لها نوايا معينة وخططاً مرسومة تجاه العراق. ونظراً لكون الولايات المتحدة هي القوة الأعظم المتبقية في العالم ولها هيمنتها المعروفة على الأمم المتحدة، فقد غدت هذه المنظمة العالمية تعمل بين ليلة وضحاها، كخلية نحل تصدر القرار تلو القرار.

فعندما غزى العراق إيران في ٢٢ أيلول (سبتمبر) ١٩٨٠ ، وهو أيضاً خرق فاضح للقانون الدولي، لم تتحرك الأمم المتحدة في بادئ الأمر وكأن الأمر لم يعنيها، ولم يصدر أي قرار من مجلس الأمن إلا بعد مضي عدة أيام على الغزو. ففي ٢٨ أيلول صدر قرار من مجلس الامن

برقم ٤٧٩ يدعو إلى إيقاف المعارك ويدعو إلى الوساطة بين الطرفين. ولكن ذلك القرار ما يأمر العراق بالتخلي عن الأراضي الإيرانية التي احتلها، ولم يأمره بالانسحاب إلى الحدود الدولية. ولم يطالب مجلس الأمن الطرفين المتحاربين سحب كامل قواتهما إلى الحدود الدولية معترف بها إلا بعد مرور سبع سنوات تقريباً على بدئ الحرب .

لكن مجلس الأمن اجتمع بعد ساعات فقط من قيام الغزو العراقي للكويت وأصدر بتاريخ /٨/١٩٩٠، قراره المرقم ٦٦٠ الذي أدان العراق وطالبه بسحب جميع قواته فوراً، وبدون قيد شرط، إلى

مواقعها التي كانت عليها في ١/٨/١٩٩٠. وصدر بعد ذلك بأربعة أيام فقط قرار ن أخطر القرارات التي صدرت من مجلس الأمن بحق العراق. ففي ٦/٨/١٩٩٠ صدر قرار جلس الأمن المرقم ٦٦١ القاضي بضرب الحصار الاقتصادي على العراق. وبموجب ذلك قرار منع استيراد كافة السلع والمنتجات التي كان منشأها العراق أو الكويت بعد تاريخ نرار، ومنع بيع أو تجهيز كافة السلع والمنتجات إلى العراق أو الكويت) عدا التجهيزات الطبية صرفة، وكذلك المواد الغذائية لأسباب إنسانية.

وبعد صدور ذلك القرار توقفت صادرات العراق النفطية، وتوقفت واردات العراق الطبية وهي لم تكن ممنوعة، وكذلك توقفت وارداته من المواد الغذائية ولو لم يمنعها القرار في حالات الإنسانية.

وتوالت بعد ذلك القرارات لمعالجة الحالات التي كانت تنتج عن الأزمة، ولمواجهة حداث التي كانت تستجد بين حين وآخر، حتى صدر قرار خطير وضع سلامة العراق وأمن الشعب العراقي ومستقبله تحت مشيئة الولايات المتحدة الأمريكية. ذلك هو القرار ٦٧٨ الذي در عن مجلس الأمن بتاريخ ٢٩/١١/١٩٩٠ والذي حول استعمال القوة لطرد العراق من ويت. وقد أكد ذلك القرار على وجوب قيام العراق بتنفيذ قرار مجلس الأمن ٦٦٠ والقرارات لحقة المتعلقة بنفس القضية، وخول الدول الأعضاء المتعاونة مع حكومة الكويت باستخدام يع الوسائل الضرورية لدعم وتنفيذ القرار ٦٦٠ والقرارات اللاحقة ما لم يقم العراق قبل أو ١٥/١/١٩٩١ بتنفيذ القرارات المذكورة كاملة.

***سر نظر وسوء تقدير:-**

لم تأبه القيادة العراقية بذلك القرار الخطير، وأصدر مجلس قيادة الثورة العراقي من به بيانا بتاريخ ٣٠/١١/١٩٩٠ غلبت عليه لهجة الاستفزاز والتهجم والتحدي. فقد وسم البيان ر مجلس الأمن المذكور بكونه غير قانوني وغير شرعي، وهو قرار شائن ويلطخ بالعار ل التي ساعدت على إصداره، وهو قرار أمريكي من البداية إلى النهاية وقد كرر البيان

بأن العرض الذي تقدم به العراق بتاريخ ١٢/٨/١٩٩٠ (١٣) هو الوسيلة الوحيدة لحل أزمة الخليج. وتحدى البيان أمريكا وحلفاءها بقوله إذا كانوا يريدون المعركة على أساس حساباتهم الفنية والنظرية فإن العراقيين والعرب جميعاً سيقلبوا تلك الحسابات البائسة رأساً على عقب وأن

العراق، في شدة المعركة، سيقضي على أولئك الأقزام المساندين الأمريكا. ومن تلك القرارات والقرارات المقابلة، والتهديدات المعاكسة، وتمركز الجيوش وتجمع الأساطيل وتأهب القواعد، كان بإمكان كل ذي عقل سليم أن يدرك أن أمريكا قد قررت أمراً وضمرت شراً، وأن آلة الزمن تدور بسرعة لغير صالح العراق، وأن الانفجار لا بد واقع، وأن العراق وشعبه مقبلون على أيام حالكة السواد ومستقبل شديد الظلمة، ما لم يفيق الرئيس العراقي إلى رشده، ويدرك أنه حسب فأخطأ الحساب وقدر فأساء التقدير، وعليه فإن مغامرة الكويت خاسرة. ولا بد إذن التعامل مع الأمر الواقع وتنفيذ قرارات مجلس الأمن قبل فوات الأوان لتقليل الخسائر قدر الإمكان، وهي خسائر، على كل حال، جاءت نتيجة حسابات خاطئة وتقديرات سيئة.

ولكن الرئيس العراقي ظل راكباً رأسه، فلم تنفع بعد ذلك محاولة الرئيس الأمريكي «المشي ميلاً إضافياً أخيراً من أجل السلام والتي نتج عنها اجتماع وزير الخارجية الأمريكي مع وزير الخارجية العراقي في جنيف. ولم تنفع كذلك الوساطة الأخيرة التي قام بها الأمين العام للأمم المتحدة بزيارته للرئيس العراقي في بغداد حين لم يبق سوى يومان لانتهاء المهلة التي حددها القرار ٦٧٨ وبقي الطرف العراقي على عناده العجيب إلى أن انتهى الأجل وحلت الساعة ووقعت الواقعة الكبرى على العراق وعلى الشعب العراقي المظلوم وشكراً للقيادة العراقية آنذاك التي غلب طيشها وقصر نظرها وسوء تقديرها على كل الصفات الأخرى التي يمكن أن تحتاجها القيادة لإخراج العراق والشعب العراقي من الورطة المهلكة التي أوقعتهما فيها.

***معركة غير متكافئة ودمار لا مبرر له:-**

كان بالإمكان الاكتفاء بطرد الجيش العراقي من الكويت وإزالة آثار العدوان عنها، وإتلاف خزين العراق من أسلحة الدمار الشامل، وتفكيك ماكنة العراق الحربية وشل قدرته على العدوان. وإذا

كانت الخطة الأمريكية في البداية تقتصر على ما ذكرناه من أهداف، فإنها اتسعت بعد ذلك وشملت تدمير البنية التحتية وشل الاقتصاد العراقي.

لقد أصبح العراق، بعد انتهاء مهلة القرار ٦٧٨، في مواجهة أعظم الدول قوة وأكثرها تقدماً من الناحية التكنولوجية أمريكا وبريطانيا وفرنسا). وتضافرت على العراق، في ذلك الوقت، أكبر قوة جوية متحالفة منذ الحرب العالمية الثانية، استخدمت آخر المبتكرات من الأسلحة وألقت على العراق آلاف الأطنان من المتفجرات خلال ٤٣ يوماً من القصف الجوي.

ووصلت شدة ذلك القصف الذي بدأ في ١٦/١/١٩٩١ ، درجة من الكثافة لم يسبق لها مثيل بالتاريخ، حيث فاقت عدد الطلعات الجوية في يوم واحد من حرب الخليج الثانية جميع الطلعات الجوية التي قامت بها الطائرات الإيرانية خلال حرب الخليج الأولى وتجاوز عدد الطلعات الكلية خلال الستة أسابيع التي تلت بداية القصف ١٢٠ ألف طلعة.

إن السؤال الذي بدأ يطرح نفسه بإلحاح بعد الدمار الشامل الذي أصاب العراق خلال ٤٣ يوماً من القصف الجوي المركز والكثيف، هو هل كان اتساع ذلك الدمار ضرورياً من وجهة النظر العسكرية أم أريد به تحقيق غايات أخرى لم تعلن عنها الإدارة الأمريكية؟ وبدأت أمهات الصحف الغربية تتساءل لمعرفة كنه ما كان مقصوداً بشدة وشمولية ذلك الدمار. فقالت جريدة الانترناشونال هيرالد تريبيون International Herald Tribune) بهذا الصدد « إن معظم الضرر الذي وجده فريق الأمم المتحدة لم يكن عرضي أو إضافي (COLLATERAL) وإنما جاء نتيجة مقصودة للحملة الجوية الناجحة لتدمير ماكنة العراق الحربية من خلال مهاجمة قاعدته الصناعية وبنيته التحتية المدنية. إن ما تم إيجاده يثير التساؤل عن القدر من ذلك القصف الجوي الذي كان كافياً أو مبرراً. إن النقاش سيستمر». ونشر الصحفي باتريك تايلر (1) (PATRICK TYLER) تقريراً في جريدة نيويورك تايمز عن طبيعة ومدى الأضرار التي لحقت بالعراق جراء القصف الجوي، وقد استقى المعلومات من محللين في الإدارة الأمريكية مطلعين على تقييم شامل لا يزال سري، عن الأضرار التي أحدثها القصف الجوي الكثيف، فذكر « أن التقييم يشير إلى أن صناعة توليد القوة الكهربائية بالعراق ربما تعرضت إلى دمار تعدى كثيراً نوايا مخططي الحرب من قوات التحالف، الذين طوروا سلاحاً، لا يزال سرياً، ألقى الآلاف من الأسلاك المعدنية الدقيقة فوق نقاط رئيسية من الشبكة

الكهربائية لإحداث دورات قصيرة هائلة مما سببت انطفاء الأنوار في ليلة السابع عشر من كانون الثاني (يناير)، حينما بدأت الحرب. وتبع ذلك ضربات محكمة لمحطات التوليد ».

وفي ورقة البرفسور فرانك) بعنوان «الحرب العالمية الثالثة: الاقتصاد السياسي لحرب الخليج والنظام العالمي الجديد قال تحت عنوان ثانوي قتال وكذب لكسب الحرب وهو يصف طبيعة تلك الحرب لقد سيطرت حملتان دعائيتان على الحرب: الأولى أنها شنت ببسالة على أكبر رابع جيش بالعالم فيه نخبة من الحرس الجمهوري المدرب تدريباً عالياً. والأخرى أن قوات التحالف تظاهرت بأول حرب في التاريخ (شبيهة بلعبة نينتندو) الكترونية وذات تكنولوجيا عالية وقنابل ذكية من خلال أشرطة الفيديو الموجهة من القيادات العسكرية الأمريكية.....

والبريطانية إلى سي أن أن (CNN) وشبكات التلفزيون الأخرى حول العالم... وبعد انتهاء الحرب فقط ظهر شيء من الحقيقة حول ما وصفته جريدة الانترناشونال هيرالد تربيون بعنوان رئيسي (سراب) الصحراء في الحرب، لم تكن الأشياء دائماً كما يوحي ظاهرها. الولايات المتحدة بالغت بتقدير حجم وإمكانية القوات المسلحة العراقية). إنها فعلت ذلك بتعمد للمساعدة على تبرير القصف الشامل والإرهابي للممتلكات العسكرية والمدنية لدولة من دول العالم الثالث بسكان ١٧ مليون روح فقط. لقد عرض البنتاغون صوراً معقمة لنوع جديد من حرب التكنولوجيا العالية بين مكائن، وليس بين رجال ... لقد عرضت القيادات العسكرية أيضاً أشرطة فيديو عديدة لقنابل ذكية وموجهة بأحكام الضرب أهداف صعبة بالعراق. ولكنهم تجاهلوا أن يبينوا أن هذه القنابل لم تكن ذكية لدرجة لم تخطئ عشرة بالمائة من أهدافها. وتجاهلوا أن يذكروا أن القنابل الذكية لم تكون سوى سبعة بالمائة فقط من مجموع الأطنان التي ألقيت. أما الثلاثة والتسعون بالمائة الباقية فلم تكن بالذكاء الكافي حتى تعرض على شاشات التلفزيون».

لقد صورت الدعاية العسكرية الأمريكية على أن الحرب تجري مع جيش عظيم، فهو رابع جيش بالعالم من حيث العدة والعدد ولا بد إذن من مواجهته بجيش عظيم من أمريكا وبريطانيا وفرنسا مدرب أحسن تدريب ومجهز بأحسن وسائل التكنولوجيا الحديثة، تدعمه الأساطيل والقواعد الجوية المحيطة بالعراق من كل جانب، وبأمرته صواريخ كروز الموجهة وآلاف الطائرات من كل نوع بضمنها قاذفات القنابل الشهيرة (بي - ٥٢).

ولكن لجنة تحقيقية من الكونغرس الأمريكي، في تقرير لها نشر في ٢٣/٤/١٩٩٢

قالت: إن وزارة الدفاع الأمريكية قدرت عدد قوات الجيش العراقي في الكويت وفي جنوب العراق بحوالي ٥٤٧ ألف عسكري، أو ٤٢ فرقة كاملة القوة. غير أن تلك الفرق العسكرية، كما أشار التقرير، كانت على العموم أقل من القوة المعتادة بحوالي ٣٤ بالمائة، وأن ١٥٣ ألف عسكري عراقي هربوا خلال القصف الجوي، كما قتل أو جرح ٢٦ ألف عسكري قبل بدى الهجوم البري. ونتيجة لذلك فإن عدد القوات العراقية بلغت ١٨٣ ألف فقط مقابل ٧٠٠ ألف عسكري من قوات التحالف البرية، بضمنهم ٥٥٠ ألف عسكري أمريكي. وعندما بدأت الحرب الجوية حرصت الدعاية العسكرية الأمريكية على أن تعطي العمليات القصف الجوي التي جرت صورة من الدقة والنظافة، وربما أعطتها أيضاً مسحة من «الرأفة» و«الرحمة وشبهتها بعملية جراحية تجري لاستئصال جزء مريض أو تالف مع بذل العناية اللازمة لعدم المساس بالأجزاء السليمة الباقية وعدم تعريضها إلى الأذى.

وقد علق وزير الخارجية الفرنسي الأسبق كلود شيسو على تلك الادعاءات الخادعة بقوله: «أنا أرفض رفضاً باتاً الأفكار المتعلقة بتجنب الأذى غير الضروري. إن هدف قوات التحالف الإبادة الاقتصاد العراقي كان يستلزم وقوع ضحايا مدنية ... مائتا ألف – أنها مذبحة .....

ذات أثر رهيب... لم لا تسألوا لماذا استمرت الحرب الجوية ٤٠ يوماً بدلاً من ١٥ كما كان مخططاً».

لقد تعمدت القيادة المركزية الأمريكية بتضخيم قوة الجيش العراقي المنتشر في مسرح عمليات الكويت ، وقدرت تعداده بحوالي ٥٤٧ ألف عسكري، وافترضت حداً أدنى لذلك العدد وهو نصف مليون عسكري. وربما كان العدد الأقرب إلى الواقع هو ٣٥٠ - ٤٠٠ ألف عسكري. وعندما بدأ القصف الجوي ترك عشرات الألوف من الجنود وحداتهم وسلموا أنفسهم إلى القوات المتحالفة، وهرب عشرات الألوف منهم ليختفوا في مناطق سكناهم أو مناطق أخرى. وعلى الأرجح لم يكن هربهم أو تسليمهم هو نتيجة خوف من المواجهة وإنما حدث ذلك لعدم إيمانهم بتلك الحرب أساساً. ولقد وصلت نسبة الفرار من الجيش أكثر من ٣٠ بالمائة، انخفض على أثرها تعداد الجيش في مسرح العمليات إلى أقل من ٣٠٠ ألف ولربما حتى أقل من ٢٠٠ ألف عسكري كما قدر ذلك المحلل

العسكري جون هايدنريج (JOHN HEIDENRICH) (24). وقد كان ذلك التعمد وإخفاء الحقائق هو لتبرير التوسع في ضرب الأهداف داخل العراق وتبرير إطالة أمد الحرب الجوية، كل ذلك لزرع الدمار الشامل وتعطيل أقصى ما يمكن تعطيله، وبالتالي إيقاف عجلة الاقتصاد العراقي. وعندما بدأت الحرب الجوية أصبح العالم يشاهد كل يوم من على شاشات التلفزيون الألعاب النارية في السماء العراقية، ويشاهد الجنرال نورمان شوارتزكوف (NORMAN SCHWARZKOPF - قائد قوات التحالف - وهو يتباهى بدقة تصويب الضربات وبنظافة «العمليات الجراحية». ولم يعط ذلك الجنرال أي انطباع للعالم المتفرج على تلك الألعاب، بأن حقيقة ما يجري هو قصف كثيف لدولة صغيرة محرومة من أي غطاء جوي، ودمار شامل لشعب فقير من شعوب الدول النامية لا يتجاوز تعداده - على حد تعبير ((البروفسورفرانك)) - مرة ونصف تعداد سكان مدينة نيويورك.

***أهداف خفية:**

لقد كانت الحملة الجوية في بدايتها - وكما صورتها الإدارة الأمريكية آنذاك - موجهة فقط ضد القوات المسلحة العراقية وخطوط إمداداتها ومراكز قياداتها. غير أن هذه الحملة تعدت أهدافها المعلنة وتوجهت نحو العمق العراقي لتقضي على البنية التحتية العراقية، وتستمر في أعمال التدمير حتى في مراحل متأخرة من الحرب، وحتى بعد أن شلت فاعلية القوات المسلحة العراقية تماماً.

ولقد تبين أن هناك أهداف خفية كان يراد تحقيقها من شمولية الدمار الذي أصاب المجتمع العراقي. إن من بين الأهداف التي كانت وراء ذلك العمل هي اكتساب النفوذ وإحكام السيطرة على العراق بعد انتهاء الحرب من خلال جعله أسير الحاجة الملحة للأموال والخبرات.....

الأجنبية، لإعادة بناء ما دمرته الحرب من البنية التحتية ومن خلال وضعه رهينة العوز المالي

المستديم. ورغم أن تفاصيل ما كان مخططاً بقيت أسراراً، إلا أن نتفاً من الحقيقة بدأت تظهر هنا وهناك بعد انتهاء الحرب. ومن بين الحقائق التي ظهرت ما نشره الكاتب الصحفي بارتون جلمان (BARTON GELLMAN). ففي تحقيق له نشر في جريدة الواشنطن بوست (WASHINGTON

25) (POST) قال: « إن القصف الاستراتيجي للعراق، الذي كانت تصفه العسكرية الأمريكية خلال الحرب بكونه موجهاً ضد قدرات العراق الهجومية، ظهرت له الآن أبعاد وأغراض أخرى. فالإيضاحات التي بدأت تأتي بعد الحرب من رجال البنتاغون حول أهداف القصف وطرقه أصبحت توحي بأن المقصود من ذلك القصف كان لتحقيق بعض الأغراض التي توختها الحرب من خلال تعطيل المجتمع العراقي بالكامل ». وقال الكاتب إن المقابلات التي أجراها مع أولئك الذين اشتركوا في تحديد أهداف القصف أظهرت ثلاثة تناقضات رئيسية مع التصور الابتدائي الذي أعطي للحملة الجوية بكونها موجهة أساساً ضد القوات العسكرية العراقية وقياداتها وخطوط تموينها. والتناقضات الثلاثة هي:

- **<u>الأولى</u>: إن بعض الأهداف، خصوصاً في مرحلة متأخرة من الحرب، ضربت خصيصا لخلق حالة من السطوة على العراق وليس للتأثير على نتيجة القتال. إن المخططين يقولون الآن:**

إن نيتهم كانت لتدمير أو إلحاق الضرر بمنشآت مهمة لا يمكن للعراق تصليحها بدون مساعدة أجنبية.

- **<u>الثانية</u>: إن العديد من الأهداف في العمق العراقي، والتي زيد عددها من حوالي ٤٠٠ هدف إلى أكثر من ٧٠٠ هدف خلال مدة الحرب، اختيرت لتساهم بصورة ثانوية فقط في الاندحار العسكري لجيش الاحتلال العراقي في الكويت. إن المخططين العسكريين كانوا يأملون من ذلك القصف تضخيم الأثر الاقتصادي والنفسي للحصار الاقتصادي على المجتمع العراقي، وبالتالي إكراه الرئيس صدام حسين على سحب القوات العراقية من الكويت دون اللجوء إلى حرب برية. وكانوا يأملون من ذلك أيضاً حمل الشعب العراقي على الانتفاض ضد النظام.**

- **<u>الثالثة</u>: إن الدمار الذي لحق بالمنشآت المدنية، بسبب النوايا المذكورة، والذي كان يوصف بكونه إضافي (COLLATERAL) وغير مقصود، كان في بعض الأحيان لا هذا ولا ذاك. لقد اتخذ مخططو الضربات الجوية حرصاً كبيراً في تجنب إلقاء المتفجرات على المدنيين مباشرة، ولكنهم تعمدوا إلحاق أكبر الأذى بقابلية العراق على توفير مقومات المجتمع الصناعي. وفي مقابلات أجراها الكاتب مع بعض المحللين والنقاد قال المؤرخان**

روبرت بيب و كارولاين جيمكي في ملاحظة لهما حول قيام القيادة المركزية الأمريكية في البداية بتخصيص ثلاثين يوماً فقط للقصف الجوي، قالا: إن الأهداف الحيوية كانت تتكون من الخزين المتوفر من التجهيزات وشبكات التوزيع. إن حملة لشل مجتمع بكامله في حرب قصيرة ضد شعب صغير ليس حراً في تغيير قيادته تعتبر حملة لا مبرر لها. ولكن لو كانت الحرب طويلة وتحتاج إلى سنوات لدحر الخصم، كما حدث في الحرب العالمية الأولى أو الثانية، فإن تدمير بنية الخصم الصناعية يصبح وارداً. إن أثر تدمير البنية الصناعية على قدرة الخصم العسكرية لا يظهر إلا بعد فترة طويلة. إن ما يظهر مباشرة هي الخسائر التي يتحملها القطاع المدني، وهذا ما تضحي به الدولة أولاً. وفي معرض كلامه عن بدايات الخطة وتطور أهداف الحملة الجوية قال الكاتب:

إن التخطيط الأولي لحملة القصف الجوي بدأ حتى قبل أن يقوم العراق بغزو الكويت. فخلال شهر تموز ١٩٩٠، وفي لعبة أو مباراة حربية، في قاعدة شو (SHAW) الجوية في ولاية كارولاينا الجنوبية، استندت إلى خطة طوارى وهمية لجنوب غربي آسيا اعتبرت فيها العراق كدولة معتدية ، تم تحديد ٢٧ هدفاً استراتيجياً بالعراق كما رواه موظف مخابراتي كبير. ونتيجة للتنقيحات التي بدأت بعد خمسة أيام من غزو الكويت ارتفعت الأهداف إلى ٥٧ ثم إلى ٨٧ هدفاً استراتيجياً ليس من ضمنها القوات العراقية بالكويت. وعند بداية الحرب في ١٧/١/١٩٩١ تجاوز العدد ٤٠٠ هدف بقليل، وكانت تلك الأهداف مركزة في رقعة تمتد من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي ما بين دجلة والفرات وبتوفر معلومات إضافية تم تجميعها خلال الحرب ومضاعفة عدد قاذفات القنابل الثقيلة (بي - (٥٢) وزيادة عدد طائرات الانسلال أو الشبح (STEALTH) إلى ٤٢ توسعت القائمة لتشمل أكثر من ٧٠٠ هدف.

*معاقبة المجنى عليه:-

لقد أعلنت الإدارة الأمريكية آنذاك أن الصراع الذي يجري ليس ضد الشعب العراقي وإنما ضد صدام، وأنها تبغي من الحرب إيقاع العقوبة به وبزمرته غير أن الذي جرى هو

عكس ذلك تماماً. فالحرب دمرت ممتلكات الشعب العراقي وعرضته إلى القتل والجوع والمرض، ولم تطل صدام وزمرته بأي أذى. وعندما انتهى الشعب العراقي واستجاب لنداء الرئيس الأمريكي جورج بوش وقام بانتفاضة باسلة من الجنوب إلى الشمال كادت تفتك بصدام ونظامه، سمح جيش الاحتلال الأمريكي لقوات الحرس الجمهوري المكرسة ليس للدفاع عن الوطن، ولكن لقمع الشعب وقهره، لكي تضرب الشعب المنتفض وتزرع فيه الموت والدمار. وأقلت صدام مرة أخرى من القصاص العادل الذي كان سيوقع به، ووقع الشعب العراقي المظلوم، بدلاً من ذلك، ضحية بين سندان القصف الجوي والحصار الاقتصادي من ناحية، ومطرقة صدام المتوحشة التي لا ترحم من ناحية أخرى.

فهل هذا هو معنى الصراع الذي كان سيجري - حسب ادعاء الإدارة الأمريكية صدام وليس ضد الشعب العراقي؟ أليس ما حدث هو عبارة عن إيقاع العقوبة بالمجني عليه وترك الجاني حراً طليقاً، وهي عدالة مقلوبة على رأسها؟.

إن أرعب كابوس كان يراود مخيلة العراقيين في تلك الأيام المريرة هو أن يتعرض الشعب العراقي، البريء، إلى الأذى بكل معانيه ويبقى صدام المذنب، في منصة الحكم بعيداً عن أي أذى. ولقد تحقق فعلاً ذلك الكابوس المرعب - شكراً للإدارة الأمريكية التي ظهر أن لها أغراض ومآرب أخرى.

إن التاريخ يرينا أن أخطاء كثيرة اقترفتها - وتقترفها - دول قوية بحق شعوب ضعيفة. وما حدث للشعب العراقي إنما هو خطيئة أخرى. إن الإدارة الأمريكية التي اقترفت ذلك الخطأ، إن هي أرادت تصحيح خطيئتها بحق الشعب العراقي المظلوم عليها أن تقوم بعد أن تم الخلاص من الحكم الدكتاتوري الغاشم - بترسيخ الحكم الديمقراطي بالعراق وحماية الديمقراطية الناشئة بهذا البلد من أي اعتداءات محتملة بالمستقبل. وعليها أيضاً أن تساهم بإعادة بناء ما دمرته قواتها بدون مبرر من ممتلكات الشعب العراقي خلال الحرب.